مقدمة

سيرة العظيم مصباح فى أمته .

عصرنا هذا أحوج إلى المصابيح الهادية ، لأنه العصر الذى تعددت فيه مذاهب الرأى ، وتشعبت فيه مفارق الطرق واحتاجت فيه كل أمة إلى تعزيز آدابها وأخلاقها بالمثل المحسوسة والنماذج الحية ، بل احتاجت فيه عقائد الدين نفسها إلى تعزيز الايمان بالمثل المحسوس والنموذج الحى من سير العظماء .

ولا نعرف بين عظمائنا المصريين من هو أصح للاقتداء به فى العصر الحاضر من عظيمنا الشهيد « محمود فهمى النقراشى » رحمه الله .

لأن من العظماء من هو قدوة فى الأمانة والنزاهة، ولكنه لا يصلح للاقتداء به فى الكفاءة العملية أو الكفاءة العقلية، وقد يكون على جانب عظيم من كفاءة العمل وكفاءة العقل ولكنه لا يصبر على المثابرة ولا يتصف بالجلد على الجهد الدائم والنشاط المتواصل ، ولكن النقراشى رحمه الله كان قدوة فى كل هذه

الخصال منذ مطلع حياته الى يوم وفاته ، وكان آية فى متانة الخلق ومضاء الذهن وثبات العزيمة ومواصلة الجهد فى مختلف الشئون بغير كلل ولا تواكل ولا وناء .

كان أمين الضمير ولم يكن أمين اليد وكفى . ومن أمانة الضمير انه تولى المناصب التى يستطيع صاحبها أن يجمع الثروة ولا تؤخذ عليه ريبة ، فكان بيده الأمر فى وزارة المواصلات ووزارة المالية والرقابة على أموال الأعداء ، وكانت ولايته لهذه الأعمال فى عهد الايراد والاصدار والترخيص والمنع بغير ممانعة ولا منازعة ، فمات كما يعلم الناس جميعا وهو فقير .

وكانت أمانته تلك الأمانة التى تقوى على محنة الغواية النفسية كما تقوى على الطمع وفتنة الحطام . فكثيرا ما أغضب اصدقاءه ليحمى خصومه من الظلم والاجحاف ، وكثيرا ما تعرض لسوء السمعة فى سبيل الواجب ، وما عهدنا أمانة الأكثرين الا طلبا للسمعة وحرصا على الثناء .

وقد تعود الناس اذا ثبتت لهم صفة الأمانة فى عظيم من العظماء ان يهونوا من هذه الصفة العالية بالقدح فى كفاءته العملية ، ولكن الله ابى للشهيد الا ان يكون القدح فى كفاءته العملية كالقدح فى أمانته النادرة : كلاهما عسير وكلاهما افتراء بغير دليل .

فى وقت واحد كان يدير وزارة الداخلية ووزارة المالية ويقوم بأعمال الرئاسة وأعمال الحاكم العسكرى ويواجه البرلمان ويشتغل بقضية فلسطين وقضية السودان فضلا عن قضية البلاد.

وهى أعباء جسام تفوق طاقة الوزراء العديدين فى الأوقات المألوفة فضلا عن أوقات الأزمات والطوارق .

ولكنه تولى الداخلية وعصابات المفسدين تعبث فى البلاد بعد الحرب العالمية ، وتولى المالية وأزمة العملة والاستيراد على أشدها ، واشتغل بقضية فلسطين وهى فى حرب ، وبقضية السودان وهى فى غليان ، واشتغل على ذلك كله بمناهضة الوباء فقضى على العصابات ، وزاد موارد البلاد ، وفتح الأسواق لمحاصيلها التى كانت على خطر من المقاطعة والمصادرة ، ودبر السلاح لجيش لم يكن له سلاح ، وشهد التاريخ فى أيامه حركة وطنية ورأيا عاما فى السودان يحسب لها المحتلون كل حساب وكان لسياسته المعروفة ـ وغير المعروفة ـ أثر فى ابتعاث تلك الحركة الوطنية وتأييد ذلك الرأى العام .

فاذا كان التطاول على أمانة النقراشى فوق وسع العدو المتطاول ، فليس القدح فى كفاءته العملية بأهون من ذلك ولا بأدنى منه إلى الاقناع .

ومن فضول القول أن يقال أن هذه الكفاءة المبينة لا تتأتى لرجل لم يكن له نصيب واف من الذكاء المتوقد والنظر الثاقب والفكر المحيط بما يتصدى له من جسام الأمور .

ولقد يكون الانسان كفؤا ذكيا مفكرا ولكنه يكل من العمل الذى لاينقطع ويسأم من المثابرة التى يقابلها الجهلاء والمغرضون بالنكران . ولكن فقيد مصر العظيم كان أنشط مايكون على النكران وأثبت مايكون عزما حيث تخور العزائم وتفتر الهمم وتصدف النفوس وهى وافية العذر عند الكثيرين .

إن سيرة هذا الرجل النبيل أصلح السير للقدوة فى هذا الزمن ، لأنها السيرة التى بلغ من قدرتها العجيبة انك لاتصدقها لو لم تعاصرها وتلمس كل واقعة من وقائعها .

ويقيننا ان المجهول من مآثر هذا الشهيد الكريم أدعى إلى العجب مما علمه الخاصة والعامة حتى الآن . ففى كل مرحلة من مراحل الجهاد الوطنى كان له الفضل الذى يظهر المطلعين والفضل الذى لايظهر ولم يظهر بعد لغير القليلين . فاذا كانت مزية العظمة التى نقتدى بها انها تقنع المقتدين بامكان مايحسبونه مستحيلا ووجود مايحسبونه معدوما ، فليس أصلح من سيرة « النقراشى » للاقتداء بها عند من يطلبون الكمال ويستبعدون المسافة ويستصعبون العناء ، ويستغربون الجزاء .

لقد كان بيننا حقا ، وكان على جميع هذه المزايا والصفات التى يستكثر الناس أن تكون ، ويستكثرون خاصة أن تكون فى هذا الزمان .

كان مع هذه المزايا والصفات كلها ، انسانا ، يجمع اللطف والرحمة إلى صرامة الصدق والأمانة ، وصلابة العمل والقدرة وحرج النفس من أثقال التكاليف التى نهض بها غير مجزى عليها ، أو مجزيا عليها بنقيض حقها ، ومنه الموت بيد مغتال .

وقد كان مولودا بصفات شهيد ، وهكذا يموت الشهداء .. ولعل هذه الصفحات التى حياه بها الأديب الألمعى «نظمى» أن تكون دليلا بليغا من أدلة كثيرة نرجوها ونرجو أن نطمئن بها على هذه الأمة ، لأنها أمة تكفر عن خطيئة جهلها فلا يضيع فيها دم الشهداء .

عباس محمود العقاد